العولمة: المفهوم، الموقف الإسلامي، وآليات المواجهة

Globalisation: The Concept, The Islamic Perspective, and Mechanisms for Confrontation

دكتور حيات الله

محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

Abstract

This study examines the phenomenon of globalization as one of the most prominent contemporary challenges facing the Islamic world. It analyzes the concept of globalization linguistically and terminologically, and reviews key definitions proposed by Western and Arab scholars. The study distinguishes between two concepts: "universalism" (al-ʿālamiyyah), which Islam advocates as a message of mercy and coexistence, and "globalization" (al-ʿawlamah), which seeks cultural, economic, and political hegemony. The research clarifies that Islam does not reject cultural diversity or interaction with others, provided such interaction adheres to the principles of Islamic law (Sharia). The study also highlights that forced cultural unification contradicts the divine law of human diversity as stated in the Quran. Furthermore, the paper presents a strategic vision for dealing with globalization, emphasizing the importance of fortifying Islamic identity, reforming educational curricula, investing in youth, and promoting the values of moderation and moral integrity. The study concludes that the strength of the Islamic nation lies in its ability to engage with global changes without losing its core identity and values.

Keywords: Globalization, Islamic Identity, Universalism vs. Globalization, Cultural Challenges, Moderation, Islamic Education

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية ظاهرة العولمة بوصفها واحدة من أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه المجتمعات الإسلامية. وذلك من خلال تفكيك مفهومها لغوياً وإجرائياً، وعرض أبرز التعريفات التي قدمها مفكرون غربيون وعرب. كما توضح الدراسة الفارق الجوهري بين "العالمية" التي يدعو إليها الإسلام و"العولمة" التي تسعى إلى الهيمنة، مؤكدة أن الشريعة الإسلامية لا تعارض التنوع الحضاري والثقافي بل تشجع على التواصل والتكامل ضمن حدودها. وتختتم الدراسة بتقديم رؤية استراتيجية

للتعامل مع العولمة تتضمن مجموعة من المقترحات العملية التي تركز على حماية الهوية الإسلامية، وتطوير البرامج التعليمية، والاستثمار في فئة الشباب، ونشر قيم الاعتدال والأخلاق.

الكلمات المفتاحية :العولمة، العالمية، الهوية الإسلامية، التحديات الثقافية، الوسطية، التربية الإسلامية.

المبحث الأول: تحديد مفهوم العولمة

أولاً: المعنى اللغوي

كلمة "العولمة" هي لفظ دخيل على العربية، ولم ينشأ في الأصل ضمن المفردات العربية الإسلامية. ومن أجل فهم دلالته الحقيقية، ينبغي الرجوع إلى الجهات التي صاغته وروّجته، ثم النظر في جذره اللغوي العربي عند الرجوع إلى معجم وبسترز"Webster's" ، نجد أن العولمة "Globalization"تعني: "تحويل الشيء إلى صفة عالمية، وتحديداً توسيع نطاقه أو تطبيقه ليشمل العالم بأسره[1].

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين، عضو مجمع اللغة العربية، أن أصل كلمة "عولمة" مشتق من لفظ "عالَم"، ويمكن بناء فعل منها قياساً هو "عَوْلَمَ يُعَوْلِمُ عَوْلَمَةً" وفقاً لقاعدة التوليد من المصدر الصناعي "عَولَمية"[2]. ويميز شاهين بينها وبين "عالمية"، حيث تشير العالمية إلى ما ينسب إلى العالم الذي يُعرف به الشيء، كما ورد في تعريفات الجرجاني[3].

بينما تحمل العولمة دلالات الإضافة والإحداث[4] والفرض والإجبار. ويمكن القول إن "العالمية تمثل رؤية طموحة لنقل الخاص إلى المستوى العام، بينما العولمة تعني السيطرة على العالم واستيعابه[5].

ثانياً: أبرز التعريفات الاصطلاحية

من بين التعريفات التي اطلعت عليها الدراسة[6]:

1. إخضاع كافة دول العالم لقوانين موحدة تحد من جميع أشكال السيادة الوطنية.
2. إعادة صياغة هيكلية قديمة بأهداف جديدة، تهدف إلى ترسيخ هيمنة القوى الكبرى ثقافياً واقتصادياً وسياسياً.
3. هيمنة النموذج الغربي على كافة مجالات الحياة البشرية من ثقافة واقتصاد وحكم وسياسة.
4. شكل جديد من أشكال الاستعمار، لكن بتكاليف أقل من الاستعمار التقليدي.
5. تحول الكرة الأرضية إلى كيان موحد[7].
6. دعوة تهدف إلى توحيد أساليب ومناهج الحياة بين مختلف الأمم والدول، وتقليص دور الأساليب والمناهج المحلية[8].

من خلال هذه التعريفات، يلاحظ أن معظمها ينطلق من نقد العولمة، حيث يركز على الهيمنة والإخضاع. لكن بعضها الآخر يتجه إلى التركيز على التفاعل والتقارب بين الأمم.

ثالثاً: العولمة بين الحتمية والإرادة الإلهية

قد يظن البعض أن العولمة قدر محتوم لا مفر منه، لكن الصحيح أن العولمة الثقافية ليست قدراً إلهياً ولا حتمية تاريخية، بل هي تناقض سنة الله في الكون والشرع.

فمن ناحية السنن الكونية، فإن محاولة فرض فكر وثقافة واحدة على البشرية تتعارض مع إرادة الله في الاختلاف، حيث يقول سبحانه :﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ (هود: 118-119).

كما يقول تعالى :﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾ (البقرة: 251).

ويقول سبحانه :﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ**﴾ (الحج: 40).

إذاً، الاختلاف سنة ربانية،

﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ (الأحزاب: 62)،

﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ (فاطر: 43).

ومن يحاول تغيير هذه السنة عبر الفرض والإكراه فهو مخالف لإرادة الله، ولن ينجح أبداً.

ومن ناحية الإرادة الشرعية، فإن العولمة التي تهدف إلى إقصاء القيم الدينية والأخلاقية لا ترضي الله، يقول سبحانه :

﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ (الزمر: 7).

ويقول :﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: 77).

لكن حكمة الله تقتضي الابتلاء، ليميز الصامدين من غيرهم، كما قال تعالى :

﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ (الأنفال: 6)، مع أنه قادر على إزالة الباطل.

وهنا تظهر تفوّقات الثقافة الإسلامية المستندة إلى "الرسالة العالمية" لا "التبعية العولمية، وتكريم الإنسان بدلاً من إذلاله. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى انتشار الإسلام، شريطة أن يدرك المسلمون دورهم ويقدموا مشروعاً حضارياً إسلامياً[9] يواجه العولمة الثقافية، مع توظيف إمكاناتهم بحكمة وعدم الانجرار إلى ردود فعل غير مدروسة.

المبحث الثاني: مقاربات تعريف العولمة في الفكر الحديث

تتنوع تعريفات العولمة بحسب خلفية المعرِّف ومنهجه، مما يجعل الاتفاق على تعريف واحد أمراً صعباً. من أبرز هذه التعريفات:

تعريف جيمس روزانو (أكاديمي أمريكي بارز): وهنا تبرز مزايا الثقافة الإسلامية التي تقوم على "العالمية الإنسانية" لا "العولمة الشاملة" التي تعيد تنظيم الإنتاج وتوحد الاستهلاك. [10].

تعريف صادق العظم :يرى أن العولمة تعني توجّه البشرية نحو النظام الرأسمالي تحت قيادة دول المركز، مع نظام عالمي قائم على التبادل غير العادل[11].

تعريف عبد الباري درّة :يصفها بأنها ظاهرة معقدة متعددة الأبعاد (سياسية، تكنولوجية، اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، حضارية) ولها تأثير عميق على الأفراد والمجتمعات والدول[12].

تعريف عبد المجيد الصلاحين :يعرفها بأنها "حرية انتقال السلع ورأس المال والعمالة والخدمات عبر الحدود الوطنية والإقليمية[13].

التصنيف الوظيفي والبنيوي للعولمة:

يمكن حصر التعريفات في تصنيفين رئيسيين:

النوع الأول: التعريف الوظيفي —يركز على مظاهر العولمة وإنجازاتها مثل: التكنولوجيا المتقدمة، ثورة المعلومات، الشركات متعددة الجنسيات، إنشاء سوق عالمية واحدة تتيح حرية الحركة للسلع والخدمات ورأس المال.

النوع الثاني: التعريف البنيوي —يتجاوز الوصف إلى تحليل الهيكل العميق للعولمة وآليات تطورها في سياقها التاريخي. وينظر إلى العولمة كعملية جدلية تمثل مرحلة متقدمة من تراكم المعرفة العلمية والتقنية، وبالتالي فهي ليست نهاية التاريخ.

المبحث الثالث: نظرة الإسلام إلى العولمة

ينبغي التأكيد أن الإسلام لا يعارض التنوع الحضاري والثقافي، ومن هنا تظهر تفوقات الثقافة الإسلامية التي ترتكز إلى "الكونية" لا "العولمة"، خاصة في ما يتعلق بالإنسان وبواعثه، كما أنها لا تنكر التواصل مع الغير أو التلاقي معهم. لكن بشرط أن يكون هذا التفاعل خاضعاً لقواعد الشريعة وأصولها العامة[14].

الأدلة القرآنية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: 21).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ (الحج: 1).

الأدلة النبوية:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الحكمة ضالة المؤمن، فأينما وجدها فهو أحق بها"[15]. كما أن المسلمين تعاملوا بالدرهم الفارسي والدينار الروماني في عهد الملك بن مروان، وأخذ عمر بن الخطاب الدواوين من الحضارة الفارسية.

عالمية الإسلام:

الإسلام دعوة عالمية موجهة لجميع البشر، قال تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)،

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 90).

وحدة الأديان في الأصول:

أكد الإسلام على جوهر واحد للأديان السماوية، قال تعالى :﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: 13)، فالأنبياء جميعاً دعوا إلى توحيد الله.[16](16)

المبحث الرابع: مقترحات عملية للتعامل مع العولمة

يرى الباحث أن التعامل الأمثل مع العولمة هو التأقلم المدروس معها، مع اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الذات الثقافية والمحلية. وفيما يلي أبرز المقترحات:

أولاً: التركيز على فئة الشباب

يقول الملك عبد الله الثاني بن الحسين: "إن أحلامنا التي ننشدها كبرى، ولا تتحقق إلا بتكاتف جهودنا جميعاً، والكل مُطالب بمساندة الشباب واحتضانهم، والكشف عن قدراتهم الخلاقة، فهم أحق من سواهم بالرعاية والحفاوة". لذا ينبغي توجيه البرامج التنموية (الأكاديمية والمهنية والاجتماعية والثقافية) نحو الشباب، فهم مستقبل الأمة وحماة تراثها.

ثانياً: تعزيز التفاهم بين الحضارات

إتاحة الفرص المتعددة للحوار واللقاء بين أفراد المجتمعات المختلفة، مثل التبادل الثقافي بين الطلاب في الجامعات والمدارس والنوادي، واستخدام وسائل الإعلام الفضائية لنشر ثقافة التقارب، مع التأكيد على القيم الإنسانية والكرامة ورفض الخضوع.

ثالثاً: الأخلاق الكونية

يقول الأمير الحسن بن طلال: "العالم المعولم يحتاج إلى أخلاقيات عالمية... إلى منظومة مغايرة للعلاقات الدولية، مؤسسة على تعاقد كوني يُعلي القواسم المشتركة ويكرم الاختلافات، قوامها شراكة وجدانية عميقة بين البشر. ". إذاً، يجب التركيز على "العالمية" الأخلاقية وليس "العولمة" الهيمنة.

رابعاً: توثيق رسالة عمان

تُعتبر "رسالة عمان" وثيقة محورية لإظهار الإسلام في صورته السمحة المعتدلة غير المتطرفة، فهي تؤكد الوسطية والاستقامة والنزاهة الفكرية والإخلاص وقيم العلم والمعرفة. لذا ينبغي نشرها عبر المناهج والبحوث والندوات.

خامساً: الإيمان بالله

ترسيخ الإيمان في قلوب صناع القرار والفرد العادي، ليكون دليلاً في الأقوال والأفعال، ويحافظ على الهوية الإسلامية في شؤون الحياة اليومية والعمل والتربية والاقتصاد.

يقول المهاتما غاندي: "إن الله عندي هو الحياة والحق والمحبة... إنك إذا انتزعت مني الإيمان بالله فقد قتلتني من فورك". وهذا يؤكد وحدة الأديان في جوهر الاعتقاد.

سادساً: إحياء الفنون الإسلامية

تُظهر دراسة غادة مصطفى إسماعيل أن الاهتمام بتدريس الفنون الإسلامية كمناهج أكاديمية يُسهم في ترسيخ الهوية الثقافية والتصدي لموجة التغريب، وذلك من خلال التركيز على الأخلاق التربوية الإسلامية وتطوير تربية فنية حديثة.

سابعاً: إنشاء هيئة وطنية عليا

تكوين هيئة متعددة التخصصات من أبناء الدولة لإدارة التنوع الثقافي وتصفية الدخيل على الثقافة المحلية، وتوجيهه بأسلوب يحافظ على الهوية الوطنية والإسلامية.

ثامناً: الانفتاح والتنسيق الثقافي

التعاون مع الآخرين ومعرفة ثقافاتهم مع الحفاظ على التراث الخاص، فالتواصل المدروس هو السبيل لتحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة.

تاسعاً: تحديث المناهج التعليمية :تطوير المناهج بإضافة مساقات عن التعدد الثقافي، والهوية العربية والإسلامية، وتاريخ العولمة وآثارها. كما تشير دراسة محمد محمد سالم إلى أن مناهج الحديث والثقافة الإسلامية بحاجة إلى تطوير، إذ أظهرت النتائج:

- ضعف المناهج الحالية في مواكبة العولمة.
- عدم وجود تأثير مباشر للعولمة على هذه المناهج.
- وجود موضوعات إيجابية تؤكد دور التربية الإسلامية في بناء الشخصية الوطنية وغرس قيم التسامح.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث، نستنتج أن العولمة تشكل تحدياً كبيراً للأمة الإسلامية، ليس لأنها ظاهرة عالمية، بل لمحاولتها فرض ثقافة واحدة على حساب خصوصيات الشعوب. وقد تبين أن الإسلام يمتلك الأدوات اللازمة للتعامل مع هذا التحدي بوعي وثبات، وذلك من خلال:

1. التمسك بالعقيدة السليمة.
2. التفريق بين العالمية الهادفة والعولمة الهيمنة.
3. الاستفادة من إيجابيات العصر مع رفض سلبياته الأخلاقية والفكرية.
4. تحديث التعليم مع الحفاظ على الهوية.
5. الاستثمار في الشباب وتأهيلهم للمستقبل.

إن الأمة القوية هي التي تتغير دون أن تذوب، وتستفيد دون أن تفقد هويتها. وهذا هو الاختبار الحقيقي في زمن العولمة.

الهوامش

1 انظر: العولمة أرقام وحقائق، عبد سعيد عبد إسماعيل، ص34؛ و The American Heritage Dictionary، ص562.

2 العولمة جريمة تذويب الأصالة، ص37، كتاب المعرفة، ع7.

3 التعريفات للجرجاني، ص139

4 انظر: دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة، صلاح الحارثي، ص10

5 عولمة الثقافة، فهد البكر، جريدة الرياض، 12730، 1424/3/1هـ؛ والعولمة والهوية الثقافية، محمد عابد الجابري، مجلة المستقبل العربي، ع228، ص17.

6 انظر: ملف العولمة، مجلة المعرفة السعودية، محرم-صفر 1420هـ؛ ملف العرب والعولمة، مجلة المستقبل، ع228-229.

7 العولمة توحد وتقسم، جورج طرابيشي، جريدة الحياة، 12955، 1998/8/23م.

8 العولمة الغربية والصحوة الإسلامية، عبد الرحمن الزنيدي، ص17.

9 انظر: العولمة أرقام وحقائق، مرجع سابق، ص234-وما بعدها.
10 يسن، السيد وزملاؤه، العرب والعولمة، 1998، ص26. (بتصرف)
11 المرجع نفسه، ص28.
12 درّة، عبد الباري، "العولمة وإدارة التعدد..." في: العولمة والهوية، 1999، ص53.
13 الصلاحين، عبد المجيد، "العولمة" في: العولمة من منظور شرعي، 2002، ص44
14 جيدل، عمار وآخرون، العولمة من منظور شرعي، 2002، ص67. (بتصرف)
15 الإمام الترمذي في سننه (رقم: 2687)، وابن ماجه في سننه (رقم: 4169)
16 جيدل وآخرون، المرجع نفسه، ص65-68.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الدغشي، أحمد محمد. "إشكال المصطلحات من المنظور الحضاري". مجلة البيان، ع166.
3. إسماعيل، عبد سعيد عبد .العولمة أرقام وحقائق.
4. The American Heritage Dictionary.
5. العولمة جريمة تذويب الأصالة .كتاب المعرفة، ع7.
6. الجرجاني .التعريفات.
7. الحارثي، صلاح .دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة.
8. البكر، فهد. "عولمة الثقافة". جريدة الرياض، 12730، 1424/3/1هـ.
9. الجابري، محمد عابد. "العولمة والهوية الثقافية". مجلة المستقبل العربي، ع228.
10. طرابيشي، جورج. "العولمة توحد وتقسم". جريدة الحياة، 12955، 1998/8/23م.
11. الزنيدي، عبد الرحمن .العولمة الغربية والصحوة الإسلامية.
12. يسن، السيد وآخرون .العرب والعولمة1998 .م.
13. درّة، عبد الباري. "العولمة وإدارة التعدد..." في :العولمة والهوية1999 .م.
14. الصلاحين، عبد المجيد. "العولمة". في :العولمة من منظور شرعي2002 .م.
15. جيدل، عمار وآخرون .العولمة من منظور شرعي2002 .م.
16. الخضيري، محسن .العولمة الاجتياحية2001 .م.
17. سالم، محمد محمد. دراسة تحليل وتقويم مناهج الحديث والثقافة الإسلامية في المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية.